خامساً: تفاعلات الموقف الاميركي ـ السوفياتي ـ الاسرائيلي

كان الزلزال الذي وقـع في الاتحاد السوفياتي ودول اوروبا الشرقية، في العام الماضي، مأساة بالنسبة الى العالم الاشتراكي، ولكنه كان فرصة ذهبية نجحت السياسة الاسرائيلية في استغلالها على أفضـل وجـه. وقـد دفعت المتغـيّرات، في السياسة الدولية، غورباتشيوف الى السماح لليهود السوفيات بالهجرة، كان المفترض ان يتوجّه الجزء الاصغر منها الى اسرائيل، والاكبر الى الولايات المتحدة الاميركية. وقد نجح النفوذ اليهودي في اميركا في تغيير قانون الهجرة، فوضعت قيود كثيرة على هجرة اليهود الى الولايات المتحدة الاميركية، بحيث تحتّم توجّههم الى اسرائيل. وبذا يمكن لاسرائيل ان تسعى الى تحقيق حلمها الاكبر في انشاء «اسرائيل الكبرى» من النيل الى الفرات.

وهنـا لا يجب ان يغيب عن نظرنا، وحساباتنا السياسية، قاعدة ثابتة في حركة استراتيجيات القوى العظمى، وهي ان الشرق الاوسط كان، دائماً، بالنسبة اليها، مجرّد جزء من دائرة الصراع والتنافس الدوليين فيما بينها، تتأثر مواقفها منه بمراحل تصاعد الصراع، أو تهدئته، وليس بناء على مطالب الاطراف الاقليمية وحقها المشروع، أو على الحق والقانون. وهذه التركيبة للعلاقات الدولية، التي حكمت سياسـة القـوتين العظميين بقواعدها ومتطلباتها لمدة أربعين عاماً، قد تحلّلت، وعلى انقاضها تمّ تبنّي تركيبة جديدة في رؤيتها، ومواقفها، وأساليبها، تبنى على أساس المصالح، وليس على أساس ايديولوجي، او توازن القوى.

والمستهدف من هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل هو توسيع نطاق الوطن المغتصب لفرض الامر الواقع وانهاء أي حديث عن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، وخاصة حقه في اقامة دولته المستقلة في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة. ولهذا المخطط ثلاثة أطراف: اسرائيل، التي يعتبر تهجير اليهود السوفيات اليها مخرجاً من مأزقها التاريخي الذي وضعت فيه بتصاعد الانتفاضة، لذا تسعى الى افراغ الاراضي المحتلة من سكانها واحلال المهاجرين السوفيات محلهم؛ والاتحاد السوفياتي، الذي استجاب لهذا المخطط بالسماح لتهجير اليهود تحت ضغوط مختلفة؛ وأخيراً الولايات المتحدة الاميركية، وهي الشريك الاول في الجريمة، بالتحريض والتسهيل والمساعدة، على الرغم من محاولتها انكار دورها تجاه الرأي العام العالمي.

وفي اطار المخطط هذا، استخدمت اسرائيل الضغط عبر الميدان الاميركي، فظهرت صفقة أميركية مفادها اشراك الاتحاد السوفياتي، بعد انتهاء مرحلة خَطَره على السياسة الاميركية، في قضية الشرق الاوسط مقابل أمرين، هما: تطبيع العلاقات بشكل كامل بين موسكو وتل ـ أبيب، والسماح بالترحيل المباشر لليهود السوفيات الى اسرائيل. ويلاحظ ان كلا الامرين يفضي الى الآخر. وبالدعم الاميركي والموافقة السوفياتية تمضي الحكومة الاسرائيلية في تنفيذ مخططاتها الاستيطانية الموضوعة، والتي تمتـد حتى بدايـات القرن الحادي والعشرين. وتحت ستار معارك سياسية داخلية مفتعلة، تسير الحكومة الاسرائيلية في تنفيذ مخططاتها الاستيطانية في الاراضي المحتلة، لا سيما في المراكز التي تحـدّدهـا مراكز دراساتها وهيئاتها الامنية باعتبارها مناطق لا يمكن اعادتها الى العرب، لأسباب استراتيجية. ويبدو ان هذه المخططات سوف تسير على طريق التنفيذ، طالما استقر اليهود، القادمون من على الاراضي السوفياتية، في الضفة، في سكينة وطمأنينة.

وتدور فصول مسرحية التآمر هذه المرة ـ بعد التآمر الاول الذي أدّى الى اقامة دولة اسرائيل ـ بين واشنطن وموسكو وتل ـ أبيب وعواصم اوروبية أخرى، وزّعت الادوار فيما بينها بعناية فائقة، واحكـام متقن. ومن المـؤسف ان ذلك تمّ تحت مسمّى «حقوق الانسان»، الذي ثبت ان له معنى